٢

# التكوين العقدي السليم وأثره في قيم التسامح بين المجتمعات

**The proper nodal formation and its impact on the values of tolerance among societies**


**اعداد**

**أ.م.د. أحمد عباس محمد**

**كلية السلام الجامعة – قسم الدراسات الاسلامية**

الاختصاص العام / فلسفة أصول الدين/ الاختصاص الدقيق / عقيدة

ahmed.a.mohammed@alsalam.edu.iq


The proper nodal formation and its impact on the values of tolerance among societies

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

## ملخص البحث

لعل النشأة العقدية السليمة من أهمّ قضايا القرآن الكريم، إذ لا نجد اعتناءً قرآنيًا كالاعتناء بقضية التوحيد وعرضها؛ ذاك لأنَّ مبناها على التوحيد الذي هو أهم مطلوب يجب تحصيله قبل كل شيء، ولا يُقبل عمل إلّا به، وما يُقسَم للناس في الدنيا والآخرة إلّا على أساس التوحيد، فإذا ما تم بناؤه على أساس الإيمان بالله تعالى ربًا وبالإسلام دينًا وبنبينا محمد (ﷺ) نبيًا ورسولًا، ومِن ثَمَّ الإيمان بحياة بعد الموت يكون فيها الحساب والعقاب، كان هذا محركًا قويًا يحرك الإنسان إلى الالتزام، وَيُعد الوازع الذي تتحرك به دوافعه على ضوئه ويتفاعل معه بناءً عليه، وبالتالي يتكون لديه رادع قوي عن الشهوات والشبهات، ويتربى على طاعة الله تعالى ورسوله (ﷺ).

ولعلَّ من المهمِّ الإشارة إلى أنَّ الناس في المجتمع الإسلامي بفضل النشأة السليمة سواسية في مبدأ إنسانيتهم؛ لأنَّهم يصدرون في الخلق من أصل واحد، وهم سواسية في مقام العبودية لله تعالى، فلا فضلَ لأحدٍ منهم على أحد من حيث جوهر وجودهم، وهكذا تتضح أهمية التكوين العقدي السليم وإسهامه في بناء شخصية الإنسان المسلم وكيانه وفكره بناءً شامخًا ومؤثراً معتدلًا بعيدًا عن التطرف والغلو، ولا يمكن أَنْ نتصور عقيدة تؤدي دورها الكبير في صياغة الإنسان صياغة قرآنية لا مثيل لها إلّا فيها ومن خلالها.

**Abstract**

Perhaps the sound doctrinal formation is one of the most important issues of the Holy Qur'an, as we do not find Qur'anic care like the issue of monotheism and its presentation; That is because it is based on monotheism, which is the most important requirement that must be attained before everything, and no action is accepted without it (may God's prayers and peace be upon him and his family) as a prophet and messenger, and then the belief in a life after death in which there will be reckoning and punishment. and suspicions, and brought up to obey God Almighty and His Messenger (peace and blessings of God be upon him and his family).

Perhaps it is important to point out that people in Islamic society, thanks to a healthy upbringing, are equal in the principle of their humanity. Because they originate from one origin in creation, and they are equal in the station of worship to God Almighty, so none of them is superior to another in terms of the essence of their existence. Thus, the importance of sound doctrinal formation and its contribution to building the Muslim person's personality, entity and thought is clear, lofty, influential, moderate and far from extremism and extremism. It is not possible to imagine a belief that plays a major role in shaping the human being with an unparalleled Qur'anic formulation except in and through it.

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾. [سورة الأعراف: ١٨٩]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وارض اللهمَّ على صحابته الغر المحجلين، أمَّا بعد:

فلا شك من أن للنشأة السليمة الدور الكبير في هداية الإنسان وكماله، ولا يتم تحقيق ذلك إلا عن طريق الدين وحده، فالدين هو الذي يلبي حاجات الروح ومتطلبات الإنسان، وهو من يتكفل بالقضاء على التناقضات والازدواجيات التي تحصل بين الإنسان واطراف العملية الإنسانية كلها، وأما الأديان التي حرفت وشوهت التاريخ فلا تمثل إلا انحرافًا وميلًا عن الخَط الإلهي المرسوم للإنسان، ولذلك انهارت عملية الاستخلاف ومسيرته برمتها التي أرادها الله تعالى.

لذا تعد اللبنة التي أنشأ الله تعالى منها الإنسان لبنة مؤمنة موحدة بالله تعالى، ولو ترك الإنسان وحده يعيش في مكان ما لفترة زمنية فإنّه سيهتدي لخالقه ويعرف وجوده سبحانه؛ لأن الله تعالى خلق الإنسان ويعرف ما في نفسه وفَطَرَه على معرفته، ولكنَّ الخالق العظيم جعل لهذا الإنسان حدودًا لا يتجاوزها، ولا بد من واسطة لمعرفة كيفية عبادته سبحانه، والعقل غير كاف وحده لمعرفة كيفية عبادته سبحانه وتعالى، لذا أرسل الله الرسل (عليهم الصلاة والسلام) ليعلموا الناس كيفية عبادة الله تعالى على وجهها الصحيح، وما على الإنسان إلا اتباع هؤلاء الرسل المبلغين دين الله إلى البشرية جمعاء، وثَمَّ يعرّف هؤلاء الرسل بني البشر بالشرائع السماوية كي يتم تعظيم الله تعالى على الوجه اللائق لتعظيمه وتوقيره وعبادته حق عبادته، وتنبيههم عند الغفلة.

من هنا فإن التكوين العقدي الصحيح السليم هو من يكفل ببناء الفرد والمجتمع بناء صحيًا بعيدًا عن لوثة التطرف والإرهاب عن طريق تعزيز قيم التسامح بين أبناء المجتمع وجميع أفراده، وهذا ما حاولنا إماطة اللثام عنه في هذا البحث الذي جاء في تمهيد ومبحثين، تعرضت في التمهيد لتحديد المراد من مصطلح العقيدة، وتكلمت في المبحث الأول عن ملامح التكوين العقدي السليم، ثمَّ جاء الكلام في المبحث الثاني عن أثر التكوين العقدي في تعزيز قيم التسامح في المجتمعات والذي لن يتم إلا ببناء الإنسان فردًا أو جماعات، ثم ختمت البحث بجملة نتائج توصلت إليها بعد هذه الرحلة المباركة التي أرجو أن أكون قد وفقت فيها، فلله تعالى الشكر والمنة وحسبي أني بذلت جهدي وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وارض اللهم على صحابته أجمعين.

الباحث

## تمهيد

مفهوم العقيدة في اللغة والاصطلاح:

أولًا: العقيدة في اللغة: هي أخذ الشيء بقوة مع إحكامه وتوثيقه[١]، ونلحظ أن لفظة (عقيدة) لم تأت في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة، وإنما جاءت: في قوله تعالى: ((وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا))[٢]، أي حالفتم وعاهدتم[٣]، وفي قوله تعالى: ((لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ))[٤]، أي وثقتموها بالقصد والنية[٥]، وفي قوله تعالى: ((أَوْفُوا بِالْعُقُودِ))[٦]، أي بالعهود المؤكدة الوثيقة[٧]، وفي قوله تعالى: ((خِطْبَةِ النِّسَاءِ))[٨]، أي عقد الزواج[٩]، وفي قوله تعالى: ((النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ))[١٠]، أي النساء الساحرات اللاتي يسحرن بالعقد على المسحور وينفثن في العقد[١١].

ثانيًا: العقيدة في الاصطلاح: سمي هذا العلم بالعقيدة لتعلقه بما انعقد في القلب دون العمل بالجوارح، فكان المقصود منه نفس العلم بخلاف علم الفروع، فالمقصود من العمل أفعال الجوارح كالصلاة ونحوها[١٢]، ولا يعني فصل العقائد عن العمل بالممارسة والفعل إنما تفصل لأغراض الإيضاح والتعليم.

لذا فالعقيدة الإسلامية هي: ((الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وإخباره، وما أجمع عليه سلف الأمة، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله (ﷺ) بالطاعة والتحكيم والاتباع))[١٣].

## المبحث الأول:
## (ملامح التكوين العقدي السليم)

المطلب الاول: البناء الفطري

لعلَّ من أهمِّ مرتكزات البناء العقدي السليم هو ملائمته للفطرة الإنسانية، والفطرة بحسب التوصيف اللغوي هي الجبلة المتهيئة لقبول الدين[١٤].

(١) ينظر: الزبيدي: تاج العروس ٥/ ١٥، الفيومي، المصباح المنير، ٢٦٩.
(٢) سورة النساء، الآية ٣٣.
(٣) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ١٠/ ٦٨.
(٤) سورة المائدة، الآية ٨٩.
(٥) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ٧/ ١٥.
(٦) سورة المائدة، الآية ١.
(٧) ينظر: الزمخشري، الكشاف، ١/ ٦٣٥.
(٨) سورة البقرة، الآية ٢٣٥.
(٩) ينظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ٢/ ٣٥٧
(١٠) سورة الفلق، الآية ٤أ
(١١) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ٣٢، ١٧٩.
(١٢) ينظر: محمد بن محمد البارني، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، ا ص٢٣.
(١٣) د. نسيم ياسين، شرح أصول العقيدة الإسلامية، ص٤، و د. ناصر العقل، مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، ص٥.
(١٤) كتاب التعريفات، ص ١٣٧.

وقد جاءت الفطرة في بعض الأحاديث مرادفة للإسلام الذي يُولد عليه كل إنسان وذلك قوله (ﷺ): ((كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه...))[1]، وهو واضحٌ في التأكيد على أن المولود لو ترك على فطرته الأصلية لما مال إلى الاديان الباطلة، ولكن السبب في ميله للدين الباطل خارجي وهو سعي الوالدين في ذلك[2]، ولذا يلحظ أنَّ النبي (ﷺ) لم يقل أو يسلمانه، فيدل على أنَ الإسلام هو الأصل، والخروج عنه خروج عن الأصل والفطرة.

قال تعالى: ((وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ))[3].

فهذه الآية الكريمة توضح دور الفطرة في البناء العقدي وأنه مرتكز رئيس فيه لذا جاء هذا الاشهاد في منطوق الآية لإتمام الحجة، وأن لا يقوم أحد بالاحتجاج بآبائه، وأنه اقتدى بهم، وأنه كان طفلاً لا يعقل، وانه معذب بجريرة آبائه المنحرفين عن الفطرة، فكان الإشهاد دافعاً لكل تلك الاحتجاجات والتعويلات، جاء في تفسير هذه الآية: ((إني أنما قرَّرتكم بهذا لتواظبوا على طاعتي، وتشكروا نعمتي، ولا تقولوا: إنما أشرك آباؤنا من قبل، فنشأنا على شركهم احتجاجًا بالتقليد، وتعويلًا عليه، أي فقد قطعت حجتكم هذه بما قررتكم به من معرفتي، وأشهدتكم على أنفسكم بإقراركم بمعرفتكم إياي))[4].

وذلك أنه سبحانه ((نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى، فكأنه اشهدهم على أنفسهم وقررهم))[5].

فالرسالات تذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى لذا احتاجوا إلى التذكير والتحذير، فكان التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى[6].

قال تعالى: ((قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى))[7]، ونلحظ هنا إشارة إلى أصلين أساسيين من الخلقة والوجود، وكل واحد منها دليل وبرهان مستقل يوصل إلى معرفة الله تعالى[8]:

الأول: أنَّ الله تعالى قد وهب لكل موجود ما يحتاجه، وهذا امر في غاية الاهمية، فاذا دققنا في جميع الكائنات نباتات كانت أو حيوانات سنرى أن لكل

(١) البخاري، صحيح البخاري،٢/ ٩٨.
(٢) ينظر: الرازي، ٦/ ١٢.
(٣) سورة الاعراف، ١٧٢.
(٤) مجمع البيان، ٤/ ٢٨٢.
(٥) الزمخشري، الكشاف، ٢/ ١٦٦.
(٦) ينظر: في ظلال القرآن، ٣/ ١٣٩١.
(٧) سورة طه، ٥٠.
(٨) ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،١٠/ ١٢، الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٢/ ٥٨.

منها انسجاماً تاماً مع محيطها الذي تعيش فيه.

والثاني: مسألة هداية وإرشاد الموجودات، وقد جعلها القرآن الكريم باستعماله (ثم) في الدرجة الثانية بعد تأمين الاحتياجات.

يقول محمد رشيد رضا: ((وعلى هذا الأصل بُني الدين التعليمي التشريعي، الذي هو وضع إلهي يوحيه الله إلى رسوله لئلا يضل عباده بضعف اجتهادهم في العمل بمقتضى غريزة الدين كما وقع بالفعل، ولا يقبل البشر هذا الدين التعليمي بالإذعان والوازع النفسي إلا إذا كان الملقن لهم مؤيداً في تبليغه وتعليمه من صاحب ذلك السلطان الغيبي الأعلى، والتصرف المطلق في جميع العالم، الذي تخضع له الأسباب والسنن فيه وهو لا يخضع لها))[1].

وهكذا نبع الإيمان من باطن الإنسان ليعبر عن فطرته الاصيلة وتعلقه بخالقه الذي خلقه في أحسن تقويم، وآمن هذا الإنسان بوجود الله تعالى قبل وجود الفلسفات وأدلتها المتعددة على وجوده سبحانه، قال تعالى: (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)[2]،ولأجل ترسيخ دين الفطرة في نفس الإنسان لابد من إصلاح الحياة الإنسان وتهذيبها، وأنْ يُعاد تكوينه من الداخل على نحو يجعله متجاوباً ومنسجماً مع فطرته وأهدافه العليا وواقعه، وينبغي أنْ يقام المحتوى الداخلي للإنسان على أساس دين الفطرة، كي ينطلق نحو العالم الخارجي الذي لا ينمو ولا يتطور إلا بالبناء، العقدي للإنسان، يقول محمد قطب (ت١٤٨٠هـ): ((من التخلف العقدي نشأت كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الإسلامي... التخلف العلمي والحضاري، والاقتصادي، والحربي، والفكري، والثقافي،...))[3].

إذن فالمشكلة هي مشكلة الإنسان، الإنسان نفسه لا ما يحيط به، لأنه محور الحياة ومركزها، وإنْ إصلاح فطرة الإنسان وبناؤها يؤدي بالتالي إلى اصلاح وبناء كل ما يحيط به من مشكلات ومسائل أخرى.

المطلب الثاني: ركيزتا الترغيب والترهيب في البناء العقدي

يعد النظام العقدي متوازنا في أسلوبي الترغيب والترهيب فهما يسيران معًا جنبًا الى جنب في صياغة المعتقد الذي يجب أن يعتنقه المتلقي المسلم.

ونعني بالترغيب: بأنه صورة تحبب وإغراء بمصلحة أو لذة أو متعة مؤكَّدة، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله تعالى. والملاحظ ان الله تعالى رغب في القرآن الكريم بمصالح ومتع عاجلة كثيرة، ولعل أبرزها:

(١) الوحي المحمدي، ص ١٥٩.

(٢) سورة إبراهيم، ١٠.

(٣) واقعنا المعاصر، ص ١٧٣.

١. الحياة الطيبة، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١]،، فـفي الدنيا يعيش الإنسان عيشًا طيبًا، فإنَّ كان موسرًا فظاهر، وإنْ كان معسرًا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة، والقناعة تتحقق بالقليل[٢].

٢. الأمن والهداية في الدنيا: قال تعالى: ((الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ))[٣] فالأمن في هذه الآية عام يشمل الأمن من عقاب الله، والأمن من حوادث المجتمع المؤلمة، والأمن من الحروب والمفاسد، والجرائم في الدنيا[٤].

٣. حلول الخيرات والبركات: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فهذه البركات واضحة الدلالة في الترغيب بالأمور الدنيوية فـالبركات أنواع الخير الكثير وربما يبتلى الإنسان بفقده كالأمن والرخاء والصحة والمال والأولاد وغير ذلك[٥]. فهذه الأمور السالفة هي من الأمور العاجلة في الجزاء، وبعضها مشترك بين الدنيا والآخرة، وبهذا يمكن القول في تعريف الترغيب: هو وعدٌ من الله تعالى لعباده فيه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو لذة أو متعة عاجلة أو آجلة، يتبعه حرص وإرادة، مقابل القيام بعمل صالح أو ترك عمل سيء، طاعةً لله تعالى.

أما الترهيب: فهو وعيد وتهديد بعقوبة يترتبان على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله تعالى عنه، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله تعالى بها، أو تهديد من الله تعالى يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي[٦].

وتكمن أهمية هاتين الركيزتين من أنه لا يمكن ان يتحقق البناء العقدي للإنسان مالم يعرف الإنسان أن ثمة نتائج مسرة أو مؤلمة وراء عمله أو سلوكه، فإنْ عَمِلَ خيرًا نال السرور، وإنْ عمل شرًا نال الألم والمرارة، فأسلوب القرآن الكريم يحتوي على الكثير من الترغيب والترهيب، الترغيب في خير الدنيا والآخرة لمن يستجيب لداعي الله وحده لا شريك له، وما تحمله للبشر من خير وصلاح ونماء، والترهيب بالحرمان من خير الدنيا أو الآخرة، بالعذاب في الدنيا أو في الآخرة لمن يعرضون عن هذا الداعي، ويسلكون طريقًا آخر[٧].

(١) سورة النحل، ٩٧.

(٢) ينظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ٢/ ٤٢٣.

(٣) سورة الانعام، ٨٢.

(٤) ينظر: الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤/ ٢٤٧.

(٥) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٨/ ١٧١.

(٦) ينظر: سعيد جبار، الاقناع في التربية الإسلامية، ص١٢٥.

(٧) ينظر: في ظلال القرآن، ٤/ ١٨٤٦.

## المبحث الثاني
## أثر التكوين العقدي الصحيح في تعزيز قيم التسامح

لعل النشأة العقدية السليمة من أهمّ قضايا القرآن الكريم، إذ لا نجد اعتناءً قرآنيًا كالاعتناء بقضية التوحيد وعرضها؛ ذاك لأنَّ مبناها على التوحيد الذي هو أهم مطلوب يجب تحصيله قبل كل شيء، ولا يُقبل عمل إلّا به، وما يُقسَم للناس في الدنيا والآخرة إلّا على أساس التوحيد، فإذا ما تم بناؤه على أساس الإيمان بالله تعالى ربًا وبالإسلام دينًا وبنبينا محمد (ﷺ) نبيًا ورسولًا، ومِن ثَمَّ الإيمان بحياة بعد الموت يكون فيها الحساب والعقاب، كان هذا محركًا قويًا يحرك الإنسان إلى الالتزام، وَيُعد الوازع الذي تتحرك به دوافعه على ضوئه ويتفاعل معه بناءً عليه، وبالتالي يتكون لديه رادع قوي عن الشهوات والشبهات، ويتربى على طاعة الله تعالى ورسوله (ﷺ).

وهذا هو التوجه إلى الله تعالى بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة، التوجه بها إلى الله تعالى خالصة، والتجرد من كل شعور آخر، ومن كل معنى غير معنى التعبد لله سبحانه، ويقول تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [1]، فهذا تذكير بوجوب وحدانية الله سبحانه، وانحصار الألوهية فيه تعالى[2]، وتمسك الإنسان بهذه العقيدة تمسك شامل لجميع نواحيها من دون تبعيض يؤتي ثماره عليه، إذ الإيمان في قلب الإنسان كمثل شجرة طيبة كلما رسخت جذورها وتفرعت أغصانها آتت ثمراتها الطيبة اليانعة النافعة، وإنْ كانت هذه الثمار نسبية عند الإنسان، وهي بقدر ما يعيها في نفسه ويعمل بها، وبطبيعة الحال لا يقتصر الأثر فقط من عقيدة التوحيد على الإنسان، بل إنَّ كل عقيدة مهما كان خطُّها الفكري ماديًا أو روحيًا تترك آثارها على الفرد والمجتمع، أو تخلق أجواء معينة تؤثر على سلوكية الفرد وسلوكية المجتمع كذلك[3]، وهذا ما سوف نوضحه فيما يأتي:

### المطلب الأول: أثر العقيدة في الإنسان (الفرد)

يمكن إيجاز أثار العقيدة على الفرد عن طريق بيان وتأكيد الشارع الحكيم علة قضية تحرير الإنسان من رق العبودية وربقتها لغير الله تعالى أو الخضوع لسواه، وذلك أنّ عقيدة التوحيد تطبع معتنقيها على حبِّ الحرية والاستقلال[4]. يقول الله تعالى: ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ))

(١) سورة الأنبياء، ٢٥.

(٢) ينظر: النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ٢/ ٨٤.

(٣) ينظر: محمد جواد مالك، العقائد الإسلامية، ص١٨.

(٤) الحلي، الإسلام دين الوحدة، ص٤١٩.

[1]. إنَّها كلمةٌ سواء يقف أمامها الجميع على مستوى واحد، لا يعلو بعضُهم على بعضٍ، ولا يستعبد بعضهم بعضاً، فالناس كلهم لآدم وآدم من تراب؛ فلا يصحُّ أنْ نجعل غيره شريكًا له في استحقاق العبادة ولا نراه أهلًا لأن يعبد[2].

ولا نعني هنا بالعبودية لغير الله تعالى التمثل بمظاهرها المعروفة من الطقوس والمناسك وحسب، بل نعني بها كل عبودية تكون عاملة في نفس وجوارح الإنسان في طاعة غير الله تعالى، ومن ثمَّ الوقوع بشراك العبودية وانعدام الحرية، وهذا المعنى نلحظه في قوله تعالى: ((اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ))[3].

ولا شك بأن جميع مدارس العلاج النفسي تكاد تتفق اليوم على أن القلق هو السبب الرئيس في نشوء الامراض النفسية، والإيمان بالله تعالى إذا ما ثبت في النفس منذ الصغر فإنه يكسب الإنسان مناعة من الامراض النفسية[4].

وهذا ما نلحظه في قوله تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ))[5].

فضلا عن ذلك يقظة الضمير ومراقبة الله تعالى في كل ما يعمله أو يقوله أو يفكر به، لأنه يعلم ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وهذا من ثمار الإيمان التي تعجز قبالها أعتى الآيديولوجيات لزرع هكذا منقبة، ولكن الإنسان المؤمن يلتمس ذلك فيه، ويستشعره في قوله تعالى: ((يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ))[6].

فالإنسان المؤمن تتضح عليه آثار العقيدة التي أعتنقها في ظاهر تصرفاته وبواطنها، ولا يتوهم هذا الإنسان أبدًا أنَّ الله تعالى غير شاهد على باطنه، فهو يعلم من عقيدة التوحيد أنَّ الله سبحانه لديه السر والعلانية، والأمر عند الخالق تعالى سيان في الظاهر والباطن، ففكرهم ونواياهم أنَّ الله مطلع عليها[7]، وفي ذلك نلحظ قوة هذه العقيدة في نفوس المؤمنين فيما يوضحه قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))[8].

(١) سورة آل عمران، ٦٤.

(٢) الألوسي، روح المعاني، ٣/ ٢٥٤.

(٣) سورة التوبة، ٣١.

(٤) ينظر: كمال مرسي، المدخل إلى علم الصحة النفسية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٨، ص١٩٥.

(٥) سورة الرعد، ٢٨.

(٦) سورة غافر، ١٩.

(٧) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤/ ١٧٣.

(٨) سورة المجادلة، ٧.

فالإنسان المؤمن بهذه العقيدة مرتقب في سلوكه وحتى كلامه سره وعلانيته، فهو يعتقد بأنَّ الرب الذي يعبده ويؤمن به محيط بكل شيء بما تحمل هذه المفردة من معنى، وهو سبحانه يلحظنا ويرانا من حيث لا نراه، يقول الزمخشري: ((ومعنى كونه معهم: أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه، فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم، وقد تعالى عن المكان والمشاهدة))[1].

إذن فتربية الضمير النابع من الإيمان المتولد من البناء السليم للعقيدة الإسلامية يوضح أنَّ الإنسان يُساق من باطنه لا من ظاهره، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات كافيين وحدهما لإقامة إنسان فاضل يحترم الحقوق ويؤدي الواجبات على وجهها الأكمل.

ولا شك أن أكبر أثر للعقيدة يكمن فيما تكسبه من العزة والثبات؛ فالرباط الوثيق الذي يقيمه الإيمان بين الإنسان وربه يمنحه العزة به والعزة كلها لله تعالى، وليس لأحد سواه، وهو ما نلحظه في قوله تعالى: ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ))[2].

فالعزة لا توجد ولن توجد إلا عند الله تعالى فهي جميعًا عنده، والإنسان الذي يتمثل بالعقيدة نلحظ فيه هذه الثمرة من حيث المنفعة في دينه، وعدم الانحناء إلى مخلوق أو طاغوت، ولا لقوة سلطان، ولا لمصلحة أو رئاسة، وإنما يظل عزيز النفس والهوى، قوي الإرادة والتصرف، لأنه تيقن أنَّ العزة لله جميعًا.

أما الإنسان الذي لا ينتمي إلى عقيدة التوحيد نراه يتخبط في التماس العزة، فلا يصل إليها لأنه لم يسلك سبيل الله تعالى، فلا تلحظه قد نال من العزة إلا ظاهرها، ويبقي خاويًا عنها، فالكافرون كانوا يتعززون بالأصنام، وهذه الأصنام تتمثل اليوم في قوى الشر الكبرى في عصرنا الحاضر فيقول الله تعالى عنهم: ((وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آَلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا))[3].

وآخرون من الذين آمنوا بألسنتهم من غير أنْ يدخل الإيمان قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين، ظانين أنَّ العزة في موالاتهم، قال تعالى: ((الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا))[4]، وهذا الاستفهام الإنكاري دليل بطلان رأيهم وخيبة رجائهم[5].

## المطلب الثاني: أثر العقيدة في المجتمع

لقد حوى القرآن الكريم الكثير من التشريعات والآداب والتوجيهات البناءة كافة، لقيام الأمة الإسلامية، لتكون في محل الصدارة والريادة والقيادة،

(١) الكشاف، ٤/ ٤٨٩.

(٢) سورة فاطر، ١٠.

(٣) سورة مريم، ٨١.

(٤) سورة النساء، ١٣٩.

(٥) ينظر: الالوسي، روح المعاني، ٥/ ٢٢٤.

بيدها أزمة الأمور، ولعل أول هذه التشريعات وأصلها وقاعدتها العقيدة الإسلامية، التي تجمع الأمة على ربٍّ واحد، هو خالق السماوات والأرض والخلق أجمعين؛ فيجتمعون على عبادته من الحبِّ والخشية، والرجاء والتقوى؛ فتتوحد قلوبهم وضمائرهم، وتتوجه أعمالهم جميعًا إليه، وتلتقي مشاعرهم نحوه، وتزداد أواصر التعاون والإخوة بينهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))[1].

فوحدة الرب المعبود ووحدة العقيدة تنمي مشاعر القربى بين المؤمنين فيستشعرون إخاءً عظيماً يجمعهم، فوحدة العقيدة من أهم أسباب وحدة المجتمع.

فالإخوة في الله تعالى من أوثق روابط النفوس وأمتن عُرى القلوب وأسمى صلات العقول والأرواح؛ لأنَّ الإخوة الإيمانية جزء لا يتجزأ من العقيدة التي تربط بين قلوب معتنقيها بأواصر لا تنفصم، فأقل مرتبة الإيمان التوحيد، والعمل يقتضي الإخوة الحقيقية بين المؤمنين للمناسبة الأصلية والقرابة التي تزيد على القرابة الصورية والنسبة الولادية بما لا يقاس لاقتضائه المحبة القلبية اللازمة للاتصال الروحاني في عين جمع الوحدة لا المحبة النفسانية المسببة عن التناسب في اللحمة فلا أقل من الإصلاح الذي هو من لوازم العدالة وإحدى خصالها إذ لو لم يعدوا عن الفطرة ولم يتذكروا بغواشي النشأة لم يتقاتلوا ولم يتخالفوا فوجب على أهل الصفاء بمقتضى الرحمة والرأفة والشفقة اللازمة للإخوة الحقيقية الإصلاح بينهما وإعادتها إلى الصفاء[2].

وقال تعالى: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))[3].

فتحولت هذه المعاني إلى حقائق ذهنية استوعبها الذهن والقلب فصدر عنه سلوك عملي من المسلمين الأوائل حينما بلغوا هذه الدرجة من المحبة الأخوية لما اجتمعوا على الاعتصام بحبل الله، ولاحت لهم آيات السعادة، وذاقوا شيئًا من حلاوة النعم وجدوا صدق ما يذكرهم به الله من هنيء النعمة ولذيذ السعادة فكان الخطاب أوقع في نفوسهم ونفوس غيرهم، ولذلك بُني الكلام ووضعت الدعوة على أساس المشاهدة والوجدان دون مجرد التقدير والفرض فليس العيان كالبيان، ولا التجارب كالفرض والتقدير[4].

وهكذا تكون ثمار العقيدة الإسلامية على المجتمع، فعندما يتحقق الإخاء بين أفراده تحقق بالتالي الوحدة الاجتماعية النابعة من هذا الإخاء.

(١) سورة الحجرات، ١٠.

(٢) ينظر: ابن عربي، التفسير، ٢/ ٢٦٠.

(٣) سورة ال عمران، ١٠٣.

(٤) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ٣/ ٣٢٦.

ولعل أهم ما تنشؤه هذه الرابطة الأخوية هو قضية الموالاة بين المؤمنين، فينشط للعمل معهم ومن أجلهم فهم كما وصفهم رسول الله (ﷺ) في قوله: ((ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[1]، أو في حديث آخر يصف النبي (ﷺ) هذه الموالاة بقوله: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعض))[2]، وكل هذا ثمرة من ثمرات التمسك بالعقيدة الإسلامية، إذ يقول تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[3]. فنلحظ أن القرآن المجيد عبر عن المجتمع العقدي بصفة أنهم بعضهم أولياء بعض، لما تضفيه هذه العقيدة من ظلال على معتنقيها، في حين نلحظ أنَّ القرآن الكريم عبَّر عن صفات غير أصحاب العقيدة الإسلامية بعضهم من بعض، وهو في قوله تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)[4]، ولم يعبر عنهم بنفس تعبير المؤمنين، وذلك أن الذين لا ينتمون يفقدون روح المودة والولاية لبعضهم البعض، بل إنهم إذا شعروا في أي وقت بأنَّ منافعهم ومصالحهم الشخصية قد تعرضت للخطر فلا مانع لديهم من خيانة حتى أصدقائهم فضلاً عن الغرباء[5]، وهؤلاء يصفهم الله سبحانه بقوله: (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ)[6]، فيراهم الناظر متفقين في الظاهر، إلا أن الحقيقة أنَّ هذا المجتمع متزلزل الأواصر لفساد العقيدة التي يدينون بها وبالتالي ينعكس على حالهم لأدنى شدة أو بلاء أو فتنة، وذلك أنهم لم تثمر فيهم الموالاة الحقيقية التي أرادها الله تعالى في المجتمع العقائدي.

ولهذا يرى ابن عاشور أن الآية تشير إلى أهمية الالتزام بالعقيدة الإسلامية لتنعكس ظلالها بالتالي على المجتمع وان لا يكون كالمجتمع اللامنتمي، فيقول: ((وفي الآية تربية للمسلمين ليحذروا من التخالف والتدابر ويعلموا أنَّ الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر يرون رأياً متماثلاً في أصول مصالحها المشتركة، وان اختلفت في خصوصياتها التي لا تنقض أصول مصالحها، ولا تفرق جامعتها، وأنه لا يكفي في الاتحاد توافق الأقوال

(١) البخاري، الصحيح ، ٧/ ٧٧، المجلسي، بحار الأنوار، ٢٠/ ١٤٢.

(٢) ()المصدر نفسه،١/ ١٢٣، المصدر نفسه، ٥٨/ ١٥٠.

(٣) سورة التوبة، ٧١.

(٤) سورة التوبة، ٦٧.

(٥) ينظر: الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦/ ٨٤.

(٦) سورة الحشر، ١٤.

ولا التوافق على الأغراض إلا أنْ تكون الضمائر خالصة من الإحن والعداوات))[1].

إذن الخلاف في الجزئيات في المجتمع الإيماني لا يفرق وحدتهم وموالاتهم ما كانوا على الأصل متفقين، وما كان دون ذلك فهو مجتمع إلى المجتمع اللامنتمي أقرب، من حيث بعده عن الانتماء لعقيدة التوحيد، وتمثله للعصبية الجاهلية، وهو ما نلحظه أسفًا في واقع حياة المسلمين، إذ أخذ البعض يكفر الآخر من غير حجة ولا بينة، وصارت للآراء والأفكار عصبية تشبه العصبية الجاهلية[2]، ووصف بعض طوائف المسلمين بصفات عقدية من غير النظر إلى أصول هذه الطائفة وعقائدهم من مصادرها المعتبرة، مما يمزق النسيج الإسلامي، ويزرع التفرقة بينهم والعداوة، مع أن كبار العلماء يشددون على الموالاة بين المسلمين، فيقولون: إن الخطأ في عدم التكفير أهون من الخطأ في التكفير[3].

وفي هذا المجال يقول الذهبي(ت٧٤٨هـ): ((ولو أنَّ كل من أخطأ في اجتهاده، مع صحة إيمانه وتوخيه لأتباع الحق، أهدرناه وبدَّعناه، لقل من يسْلَمُ من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه))[4].

فالمسلمون في عالمنا الراهن يتفقون في الأصول الأساسية الثلاثة: التوحيد، والنبوة، والمعاد، فيلزم أنْ لا يكفر فريق فريقًا آخر؛ لأن الكثير من الأصول المختلف فيها هي في الحقيقة من القضايا الكلامية التي طُرحت على بساط البحث والمناقشة بين المسلمين فيما بعد، ولكل فريق منهم أدلته وبراهينه فيها، وعلى هذا لا يمكن أنْ يتخذ الاختلاف في هذه المسائل وسيلة لتكفير هذه الفرقة، أو تلك أو ذريعة لتفسيق هذه الطائفة أو تلك، ولا سببًا لتفتيت وحدة المسلمين[5].

وقد اختلف الأئمة في بعض مسائل العقيدة، كما اختلفوا في بعض مسائل الفقه، ولم يكفر أو يفسق أو يبدع بعضهم بعضًا؛ لأنهم قد عرفوا من أحوال مخالفيهم أنهم كانوا مجتهدين في طلب الحقيقة، وأنَّ ما قالوه هو أحسن ما يقدرون ووصل إدراكهم إليه[6].

ولعلَّ من المهمِّ الإشارة إلى أن الناس في المجتمع الإسلامي بفضل العقيدة سواسية في مبدأ إنسانيتهم؛ لأنَّهم يصدرون في الخلق من أصل واحد، وهم سواسية في مقام العبودية لله تعالى، فلا فضلَ لأحدٍ منهم على أحد من حيث جوهر وجودهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ

(١) التحرير والتنوير، ٢٨/ ٩٥.

(٢) ينظر: أبو زهرة، الإمام زيد، ص٧.

(٣) ينظر: ابن الوزير الصنعاني، إيثار الحق على الخلق، ١/ ٤٠٢.

(٤) سير أعلام النبلاء، ١٤/ ٣٧٦.

(٥) ينظر: العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، ص٢٦٤.

(٦) ينظر: د. هاني فقيه، خطوات في فقه التعايش والتجديد، ص٥٦.

كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)[1].

فالإسلام يدعو الناس إلى تقوى ربهم في أمر أنفسهم، وهم ناس متحدون في الحقيقة الإنسانية من غير اختلاف فيها بين الرجل منهم والمرأة والصغير والكبير والعاجز والقوي حتى لا يجحف الرجل منهم بالمرأة ولا يظلم كبيرهم الصغير في مجتمعهم الذي هداهم الله إليه لتتميم سعادتهم والقوانين المعمولة بينهم التي ألهمهم إياها لتسهيل طريق حياتهم، وحفظ وجودهم وبقائهم فرادى ومجتمعين[2].

وعلى هذا الأساس لا مبرر للتمييز العنصري واللغوي والمحلي والعشائري وما شابه ذلك، مما يسبب في عالمنا الراهن آلافاً من المشاكل في المجتمعات اللامنتمية إلى عقيدة التوحيد، ولا مجال لهذه الأمور وما يترتب عليها من الأمجاد الكاذبة والتفوق الموهوم في مجتمع العقيدة الإسلامية، فهذه العقيدة كما تقدم لا تنظر إلى مظاهر هذا الزخرف بل هي ناظرة إلى المجتمع بما يعمل للقرب إلى الله سبحانه، لأن البشر كافة على اختلاف ألوانهم ولغاتهم، وأقطارهم يرجعون إلى أب واحد وأم واحدة.

وأخيرًا فإنَّ كل هذه الأمور لا يستطيع العقل ان يصل إليها أو أنْ يدركها وحده، من غير أنْ تأخذ بيده عناية الله وأديانه وكتبه، لأن إدراك العقل وحده إدراك بصعوبة شديدة ومعاناة هائلة وكثيراً ما يضل فيرى الخير شراً والشر خيراً والنافع ضاراً والضار نافعاً، وأقرب شاهد على ذلك ما نراه في عصرنا الحاضر الذي توهم أهله أنهم وصلوا إلى أعلى درجات الحضارة والتمدن، وهاهم يتخبطون في الظلمات وكلّما حلوا مشكلة وقعوا في مشكلات، ولا نحتاج إلى معرفة ما يتخبط به العالم شرقاً وغرباً بأكثر من مطالعة سطور من جريدة يومية، أو سماع نشرة إخبارية في المذياع أو التلفاز، ولن يزالوا كذلك بل سيزدادون ظلمة وانتكاسًا ما داموا يعتمدون على عقولهم ونظريات بشر مثلهم حتى يرجعوا إلى الله سبحانه وإلى عقيدة التوحيد[3]، قال تعالى:((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ))[4].

فللاستقرار النفسي ثمنًا لابد من تحمل تبعاته ألا وهو الإيمان، فإذا كان لابد من الوصول إلى شاطي السعادة والاستقرار فلا مندوحة من اعتناق مبادئ السماء التي تشيع في أرجاء النفس هدوءً ومحبةً، وتترع الأعماق راحة وهناء، فهذا هو الإيمان الذي يثمر من قيم تربط بين مفصلي العقيدة والقانون، مراعياً الدنيا والآخرة، والروح والمادة[5].

ونظرًا لهذه الأهمية فللإيمان بالغيب أثر بالغ في النفوس وأهمية كبيرة في بناء الإنسان على مرِّ العصور،

(١) سورة النساء، الآية ١.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن، ٤/ ١١٨.

(٣) ينظر: محمد نمر الخطيب، مرشد الدعاة، ص٣٨.

(٤) سورة فصلت، ٥٣.

(٥) ينظر: موسى الهادي، الإسلام طريق المستقبل،ص٢١.

بل كلما تقدم العصر بنا لحظنا أهمية هذا الاحتياج، وذلك أنه كلما ابتعدنا عنه ضعفت الفطرة وضوت وتمرضت، وذلك لاتصال الإيمان العقدي بالفطرة الإنسانية فإذا كان الإيمان بالغيب أصلًا من أصول الفطرة الإنسانية السوية فانه في عصر التقدم وفي عصر المدنية المعاصرة أشد طلباً وأعظم خطراً في حياة وسلامة النفوس مما يعتريها من جنون وصرع يصيبها من أدواء تتولد يومًا بعد يوم[1].

وقد بدأ بعض علماء النفس الغربيين المحدثين يدركون أخيرًا أهمية الإيمان بالله تعالى في صحة الإنسان النفسية، إذ إنه يمده بطاقة روحية تعينه على تحمل مشاق الحياة وتساعده على التخلص من القلق والمرض النفسي، وهذا يعني أن البشرية اليوم في حاجة ماسة إلى الإيمان وليس المسلمين وحسب في حاجة إلى هذا الإيمان واستحضاره في حركاتهم وسكونهم[2].

## الخاتمة

بعد هذه الرحلة المباركة نحط الرحال عند أهم نتائج هذا البحث وما توصل إليه وعلى النحو الآتي:

١. إنَّ من أهمِّ مرتكزات البناء العقدي السليم هو الفطرة الإنسانية. وبموجبها يتم تنمية الإيمان الحي النابض بالحيوية والعمل بموجبه.

٢. يعد النظام العقدي متوازنا في أسلوبي الترغيب والترهيب فهما يسيران معا جنبا الى جنب في صياغة المعتقد الذي يجب أن يعتنقه المتلقي المسلم، وهذا يتطلب استخدام الأدلة البديهية الفطرية للأقناع والاقتناع.

٣. تظهر آثار العقيدة على الفرد عن طريق بيان وتأكيد الشارع الحكيم علة قضية تحرير الإنسان من رق العبودية وربقتها لغير الله تعالى أو الخضوع لسواه.

٤. إن أكبر أثر للعقيدة يكمن فيما تكسبه من العزة والثبات عن طريق تعزيز العلاقة بين الإنسان وربه بما يمنحه العزة به والعزة كلها لله تعالى، وليس لأحد سواهتكوين عاطفة إيمانية قوية دافعة الى السلوك.

٥. وحدة الرب المعبود، ووحدة العقيدة تنمي مشاعر القربى بين المؤمنين فيستشعرون إخاءً عظيماً يجمعهم، فوحدة العقيدة من أهم أسباب وحدة المجتمع.

٦. تكوين الإيمان القائم على العلم بصدق الوحي والقرآن وبكل ما يجب الإيمان به.

٧. التركيز على جوانب العقيدة الإسلامية الايجابية والمؤثرة على السلوكيات.

(١) ينظر: د. كارم السيد غنيم، الإيمان بالغيب ضرورة عصرية، ص٤٩.

(٢) ينظر: د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص ٣٣٦،و د. مفتاح محمد عبد العزيز، القرآن وعلم النفس، ص١٨٠.

٨. تدريب الإنسان على طريقة التأمل في مخلوقات الله تعالى وعلى ذكر الله كلما رأوا آية أو شعروا بنعمة من نعم الله على خلقه.

وهكذا تتضح أهمية التكوين العقدي السليم واسهامه في بناء شخصية الإنسان المسلم وكيانه وفكره بناءً شامخاً ومؤثراً معتدلا بعيدا عن التطرف والغلو، ولا يمكن ان نتصور عقيدة تؤدي دورها الكبير في صياغة الإنسان صياغة قرآنية لا مثيل لها إلا فيها ومن خلالها.

## المراجع والمصادر


بعد القرآن الكريم.

١) ابن الأثير، مجد الدين محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، دار ابن الجوزي، بيروت،١٤٢٣هـ.

٢) ابن خلدون، عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن خلدون الحضرمي، المقدمة،دَار القلم، بَيْرُوْت، ط٥، ١٩٨٤م.

٣) ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ، بيروت، (د ـــ ت).

٤) ابن عربي، تفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

٥) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط١٩٧١،

٦) أبو زهرة، محمد، الإمام زيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٤م.

٧) الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٨) الأفندي، د. محمد جمال الدين، الإسلام وقوانين الوجود، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بيروت، ط٢، ١٩٧٦.

٩) الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٠) البارني، محمد بن محمد، شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، الكويت، ١٩٨٩م.

١١) البنا، د. حسن، الإيمان واثره في حياة الإنسان، دار العلم،الكويت،١٩٧٤م.

١٢) جبار سعيد، الاقناع في التربية الإسلامية، دار الاندلس، جدة، ط٢، ٢٠٠١م.

١٣) الجوهري، محمد بن أبي بكر عبد القادر، مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٣م.

١٤) حسين، محمد كاظم، حركية ألفاظ العقل في القرآن الكريم، مجلة ينابيع، مؤسسة الحكمة، النجف الأشرف، السنة ٩، ٢٠١٢م، العدد ٤٦،

١٥) الحلي، مسلم الحسيني، الإسلام دين الوحدة، مجلة رسالة الإسلام،، ١٩٤٩م.

١٦) الخطيب،محمد نمر، مرشد الدعاة، بيروت، ١٩٨١.

١٧) الزبيدي: محب الدين أبي فيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، دار الفكر، بيروت.

١٨) الزبيدي، محب الدين أبي فيض، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي سيري، دار الفكر، بيروت،(د ـــــ ت).

١٩) الزمخشري. أبي القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٠) الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.

٢١) الزنداني، عبد المجيد، توحيد الخالق، دار المثنى للطباعة والنشر، بغداد، (د ـــــ ت).

٢٢) سويدي، حصة، الفكر في ضوء الكتاب والسنة، جامعة الكويت، السنة ١٣، العدد٣٦، ١٩٩٨.

٢٣) الشابندر، غالب حسن، ستراتيجية السؤال رؤية قرآنية، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٤م.

٢٤) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل،(د ـــــ ت).

٢٥) الصالح، د. صبحي، معالم الشريعة الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٨م.

٢٦) الصدوق، الامالي، تحقيق ونشر: قسم الدراسات الإسلامية، قم، ١٤١٧هـ.

٢٧) الصغير، د. محمد حسين، الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٢م.

٢٨) الصنعاني، ابن الوزير محمد بن إبراهيم، إيثار الحق على الخلق، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

٢٩) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب العربي، بغداد، ٢٠٠٩م.

٣٠) طنطاوي علي، تعريف عام بدين الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣١) العبدة، محمد، أيعيد التاريخ نفسه، المنتدى الإسلامي، مصر، ١٤١١هـ.

٣٢) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

٣٣) عبده،محمد، شرح نهج البلاغة،دار الذخائر، قم، ١٤١٢هـ.

٣٤) العقل، د. ناصر،مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة، دار الوطن للنشر، ١٤١١هـ.

٣٥) الغزالي، أبو حامد، إحياء علوم الدين، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٣٦) غنيم، د. كارم، السيد الإيمان بالغيب ضرورة عصرية، المجلة الإسلامية، المملكة المغربية، ١٩٨٧م،

٣٧) فضل الله، محمد حسين، مفاهيم إسلامية عامة، دار الملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م،

٣٨) فضل الله، محمد حسين، تفسير من وحي القرآن، دار الملاك، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م،

٣٩) فقيه، د. هاني احمد، خطوات في فقه التعايش والتجديد، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ٢٠١٠.

٤٠) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ـــــ ت).

٤١) القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الإسلام ( دراسة مقارنة -، دار الكتاب الإسلامي، (د ـــــ ت).

٤٢) القرضاوي،،د. يوسف، الإيمان والحياة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٧٩م.

٤٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق: علي اكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران،١٣٦٣هـ ش.

٤٤) كمال، مرسي، المدخل إلى علم الصحة النفسية، دار القلم، الكويت، ١٩٨٨.

٤٥) كمون، د. سعد حسن، العقل العربي في القرآن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ٢٠٠٥م.

٤٦) مالك، محمد جواد، العقائد الإسلامية (دراسة منهجية في أصول الدين)، مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٩٩٢م.

٤٧) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد تقي اليزدي، محمد باقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٩٨٣م.

٤٨) مغنية، محمد جواد، نظرات في التصوف والكرامات، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت،(د ـــــ ت).

٤٩) المقدسي، ابن قدامه، المغني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٥هـ،

٥٠) نقرة، د. التهامي، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧١.

٥١) ياسين، د. نسيم، شرح أصول العقيدة الإسلامية، مكتبة دار المنارة، ط٤، ٢٠٠٥م.